نظرة جديدة في اله السماء ان/انو
في معتقدات العراقيين القدماء
البداية، التسمية، الاثر

أ.د. سجى مؤيد عبد اللطيف
جامعة بغداد – كلية الآداب
قسم الاثار

المقدمة :

تعد الوحدانية أي عبادة الاله الواحد من المفاهيم الدينية التي قام على بحثها العديد من الباحثين والعلماء لاسيما في الحضارات القديمة[١]، وهنا سنحاول القاء نظرة او فكرة جديدة عن اصول تواجد الوحدانية في ديانة العراقيين القدماء متمثلة في عبادة اله السماء **ان** AN عند السومريين و**انو** Anu عند الاكديين نطرحها على طاولة البحث العلمي علها تؤتي ثمارها .

يعد اله السماء ان/انو الاكثر اهمية في معتقدات العراقيين القدماء، لأنه ابو الالهة وعظيمهم و والدا ايضا لعدد من الجن والعفاريت والهة الشر السبعة التي تدعى "سيبيتو"[٢]، وهو الاول في ثالوث مجمع الالهة السومري او دولة الالهة الذي يعود تاريخه الى الالف الثالث قبل الميلاد والمؤسس من لدن رجال الدين السومريين[٣]، التي كانت قراراته تتخذ بالأجماع ويكون البت النهائي فيها اي مصادقتها من الاله انو [٤] كما جاء على لسان الاديب البابلي :" يا انو كلمتك هي المسموعة ، من يستطيع ان يقول لا ..." [٥] ، وفي اسطورة ادبا : "ومن منهم من يستطيع ان يجعل امره يفوق امر انو "[٦]. وقد صنف اله السماء الاول في اسطورة الطوفان لاتراخاسيس البابلية وعلى رأس الالهة السبعة مقررة المصائر (انو ، انليل ، ننخرساك ، انكي ، ننار ، اوتو ، اننا)[٧]، و ان قائمة الالهة التي تبدأ اولا باله السماء an=anum قد جاءت نسختها الواضحة من العصر الاشوري الحديث، الا ان اصولها تعود الى العصر البابلي القديم[٨]. والاله ان/انو هو الذي يقرر مصائر الكون والالهة والبشر وهو خالق الخلق طبقا للأساطير وملك الالهة و ملك السماء وملك الاراضي ومن القابه الراعي والامير[٩]. وتتضح مكانة الاله في قصص الخليقة الموجودة في النصوص المسمارية، ففي القصص السومرية تتعدد ادوار ان كاله خالق للسماء ، ففي قصة كلكامش وانكيدو والعالم الاخر نقرأ:

"وبعد ان اخذ الاله ان السماء "

"وبعد ان اخذ الاله انليل الارض"

وفي قصة اخرى مثل اسطورة الماشية والغلة :

"ولد الاله ان (اله السماء) الالهة انوناكي "[١٠]، وهو من العناصر الاساسية التي يتالف منها الكون (السماء، الارض، الجو ، البحر)[١١]، وهو صاحب المكانة الاولى في ديانة العراقيين القدماء لأنه الذي يمنح شارات الحكم الموجودة على دكته او يعين الملوك فهو صاحب السلطة المطلقة[١٢]، يسكن السماء السابعة كما جاء في قصة ايتانا : " ياصديقي ، رائعة هي المناطق السماوية، هيا سأحملك نحو سماوات انو"[١٣]، فقد قسمت السماء الى ثلاثة اقسام كل قسم كان قد ارتبط باله ، دعيت هذه الاقسام بدروب السماء فهناك درب الاله انو والذي يكون موقعه في الدائرة الكونية المركز، يليه درب الاله انليل في الوسط ، ثم الاله ايا في الدائرة الاخيرة ، وكل درب من هذه الدروب الثلاث يضم ١٢ مجموعة نجمية[١٤]، وهو الذي تقدم اليه القرابين وتتلى الصلوات، وكان شأنه رفيعا في بداية عصر فجر السلالات إلا انه بدأ بالانحسار ليحل الاله انليل محل ابيه الاله ان او انو ، وبلغ ذروة انحساره فيما بعد لاسيما في العصر البابلي القديم، اما في العصور الاشورية المتأخرة فحل محله الاله اشور كاله مركزي في الامبراطورية الاشورية[١٥]، وهناك من يعتقد ان اصل علامات الاله اشور في العصور الاشورية المتأخرة هي $an\text{-}šar_2$ ومعناها "سماء الكون" او "اله الكون"، ومما يظهر ان جزء منها يجد الباحثون انه ارتبط بالإله انشار الاله الخالق للكون وهو اله السماء النظير الذكري للإلهة الارض، لهذا فبعض الباحثون يجدون ان الاله انشار يعد موازيا لأله السماء ولا فرق بينهما،[١٦] اما المصادر البابلية وبالتحديد اسطورة الخلق البابلية فتذكر ان انو قد جاء من انشار وكيشار[١٧] ، على الرغم ان اسطورة "انليل وسود sud" السومرية تذكر ان انليل قد ولد من اله السماء انشار[١٨]، وفي الحقيقة ان الاصول الاولى للاله **ان** في الاساطير السومرية تعد غامضة ، اما زوجته فهي اوراش في السومرية وانتوم في الاكدية وعرفت بالقاب اخرى مثل ننخرساك او ننماخ ننتو وجميعهم يعدون من الالهة الام، اما ابناؤه فهم انليل اله الهواء، وانكي اله الماء، والاله اشكر / ادد اله الرعد، والهة الكتابة نيسابا، واله العالم الاخر نركال[١٩].

ان الملفت للانتباه في اله السماء **ان** او **انو** اقتصار علامته على العلامة الدالة على الالوهية[٢٠] dingir وهي العلامة التي تسبق جميع اسماء الالهة، وهي العلامة التي تشير الى جهات الكون[٢١]، وتعد احدى رموزه التي تظهر على الاثار الفنية التي مثلت على الاختام الاسطوانية والمسلات واحجار الكودورو مع رموزه الاخرى مثل العصا الصولجان حزمة القصب المعقوفة[٢٢]، اما التاج المقرن فهناك شك في كونه رمزا من رموزه المعروفة كشارات للحكم يقلد بها الملوك وجميعها تعود الى عصور قديمة اقدمها جاء من عصر الوركاء او جمدة نصر[٢٣]، وهو صاحب الرقم ٦٠ فيكون بذلك الحائز على المرتبة والرقم

الاعلى في مجمع الالهة، والرقم ٦٠ هو الذي يعتمد عليه النظام الرياضي الستيني في العراق القديم[٢٤]. اما الطقوس والقرابين فكانت قرابينا يومية فضلا عن الشهرية فاليومية كانت تشمل الصباحية والمسائية وكانت عبارة جرار من شراب الجعة وكذلك وجبات من اللحم والخبز فضلا عن الحلويات المتمثلة بالتمر والزيوت[٢٥].

واما الطقوس فقد تعددت مثل طقس غسل الفم وهي تلك الطقوس التي ترافق اعداد تماثيل الالهة والتي تجري من لدن كاهن معبد الاله في الليل وعلى ضوء المشاعل الى ضفة النهر حيت تصب السوائل وتتلى التعويذ والرقى وفي الصباح يتم ارجاعه الى المعبد[٢٦].

وكان له دوره ايضا في احتفالات راس السنة الجديدة اكيتو المقام في نهاية شهر اذار بداية نيسان وقد شملت مدن كثيرة وكان لاغلب الالهة دورهم في هذه الاحتفالات لاسيما اله السماء الذي يقام في الوركاء وفي بيت خاص بالالهم مثل الاله انو، يستمر لايام وتقدم فيه الاضاحي وتتلى الصلوات للاله ويكون بحضور الملك وحاشيته [٢٧]. ومن الاشياء الملفتة ايضا انعدام تمثيله على النماذج الفنية الا من خلال رموزه[٢٨]، كما له من الاسماء والالقاب المهيبة مثل " ملك الملوك "، " الملك العظيم" ،"ملك الالهة"، "مللك الاراضي"، فضلا عن ذلك تتضح صفاته في الاسماء الشخصية مثل "الرحيم" كما وصف ب"المحي" و"الرؤوف" "الحكيم" وغيرها الكثير من الصفات[٢٩]، ومن الامور الاخرى التي من المهم الانتباه عليها اقدمية معبده في الوركاء المعروف بالمعبد الابيض الذي يعود في طبقاته الى عصر العبيد اربعة[٣٠] وليس هناك اقدم منه الا معابد اريدو للإله انكي التي تعود الى عصر العبيد في طبقاته المبكرة، الا ان هناك احتمالات الوصول الى طبقات تعود بقدمها الى اولى طبقات المعابد في اريدو الا ان التنقيبات لم تصل اليها بعد . كل تلك الامور تمنح اله السماء تميزا يختلف عن الالهة، فجميعها صفات تقترب من وحدانية العبادة التي ربما تحولت بمرور الزمن الى عبادة الشرك بعد اضافة العلامة الدالة على الالوهية الى اسماء الالهة التي مثلت في الكثير منها الظواهر الطبيعية، وبما ان لفظة اسم اله السماء المعروفة ب **ان** AN عند السومريين و**انو** Anu عند الاكديين، وفيها نلاحظ الاشتراك اللفظي بين الصوتين N و L في صفة الاذلاق[٣١] وهي احدى الصفات الصوتية التي تمتاز بها الحروف فضلا عن المخارج الصوتية، والاصوات المشتركة اما في المخرج او الصفة و بالإمكان تبادلهما، لهذا نرجح ان اصل الكلمة السومرية AN هي AL وفي الاكدية alu "، لاسيما وان اللفظة العامة للإله هي ilu في الاكدية وتحمل نفس العلامة الدالة على اله السماء[٣٢]. ونريد ان نحاول التقريب من اللفظة العربية "الله" ، لاسيما اذا ما عرفنا ان اصل لفظ الجلالة " الله" عند بعض اللغويين العرب القدماء مثل سيبوية وغيره هو "اله" او " الاه" وهو اسم مشتق، أصله "الإله"، اختلف في أصل هذا الاسم بين أصحاب اللغة، فمنهم من قال:

إنه اسم مشتق، ومنهم من قال: إنه اسم جامد، ولكل منهم حُجته ، وفي الاشتقاق حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لامًا واحدةً مشددةً مفخمة "الله"[٣٣] ، وعلى هذا نرجح قراءة الاسم بدلا عن **ان** او **انو**، **ال** او **الو** ، استنادا الى القاعدة الصوتية الاذلاق المشار اليها ليكون متطابقا مع التسمية الاكدية العامة للإله ، فيقترب ذلك كله من الترجيح الى وجود الوحدانية متمثلة بالاله **ان** التي تطورت ربما فيما بعد الى التعددية الشركية . اما الاثر الذي تركه **اله السماء** فيتضح في الدين والسياسة والمجتمع ، اما دوره في السياسة كما ذكرناه عندما كان يقوم باختيار الحكام والملوك والذين يتباهون باختيار **انو** لهم فعلى لسان حمورابي :" اسمياني الالهان انو و انليل ..."[٣٤]

وفي اثناء تتويج الملك البابلي ريم سين احد ملوك سلالة لارسا (١٨٢٢-١٧٦٣ق.م) قال الملك ما يلي:" عسى ان يضع (انو) التاج المقدس على رأسك"[٣٥]، ولما اعطى انليل السيادة الى مردوخ في العصور البابلية اعطاها وكانه الحاكم فقط اما السيادة المطلقة فبقت بيد الالهين انو وانليل، فهو الذي ينظر في القضايا التي تعرض على البشر مثل اختياره قائد الالهة في منازلة قوى الشر تيامت ، فضلا عن اختياره ننورتا في منازلة الطائر زو لسرقته الواح القدر في اسطورة زو ، وقرار عقوبة الاله انليل جزاء اغتصابه الالهة ننليل ، وقرار موت انكيدو بعد قتله حارس الغابة خمبابا في ملحمة كلكامش الذي اتخذه بالاجماع مع الالهة في مجمع الالهة .[٣٦] ، كما كانت تنسب الى انو في العصور الاشورية قرارات الملوك في حملاتهم العسكرية التي ماهي الا اوامر الهية تنسب الى الآلهة مثل اله السماء فضلا عن اعمال مختلفة كانت قد نسبت الى اليه لاسيما في عهد الملك شمشي ادد الاول (١٨١٣-١٧٨١ق.م)[٣٧]. اما دوره في المجتمع فيتمثل بتحقيقه العدالة وتتمثل من خلال القوانين التي يصدرها الملوك برعاية الاله **ان** يشاطره فيه الاله **انليل** ومن اهم القوانين قانون اورنمو وقانون حمورابي : ففي قانون حمورابي يذكر : "ان الالهين العظيمين انو العظيم سيد ملائكة الارض والسماء ، وانليل رب السماء والارض .... قد انتدباني... لنشر العدل والقضاء على الشر والغش...." ، فضلا عن دوره في العدالة له دوره في نشر الخير من خلال المطر الذي تدر به السماء وكذلك في دوره في قصة الطوفان من خلال منحه مع الاله انليل الخلود لبطل الطوفان السومري " زيوسدرا" . ومثلما لاله السماء دوره في الخير كذلك كان في الشر من خلال قرار الطوفان الذي دمر البشرية ، وفي الثور السماوي الذي خلفه بناءا على طلب ابنته انانا(عشتار) وانزله الى الارض ينشر به الشر بين البشر، فضلا عن خلقه الهة الطاعون والموت .[٣٨] من ذلك يتضح لنا دور الاله **ان** او **انو** كان كبيرا في الكثير من مفاصل حضارة العراق القديم.

الاشكال والصور

نموذج رقم(١)

يوضح الشكل احد احجار الكودورو التي تظهر في الاعلى احد رموز اله السماء ان/انو المتمثل بالتاج المقرن[٣٩]

نموذج رقم(٢)

نموذج بنائي يوضح واجهة معبد اله السماء ان في مدينة الوركاء[٤٠]

الهوامش :

[١] لقد قام العديد من الالهة على بحث فكرة الوحدانية في العراق القديم وعلى راسهم لامبرت او سيمو باربولا الذين نادوا على تواجدها لاسيما في نهايات العصر الاشوري الحديث كتطور للديانة في في الحضارة القديمة وغيرهم من توجه غير هذا التوجه في اثبات عدم تواجدها في قمة التطور الديني المتمثل في العصر الاشوري الحديث متمثلة في الاله اشور الذي يبزغ من بين الالهة كاله رئيس وكقوة لا يستهان بها ، وحتى لو كان الاله اشور الاله الاوحد متمثلا ذلك في بعض التراتيل او الطقوس الدينية للملك اشوربانيبال الا ان فكرة التعددية لا يمكن استئصالها في ديانة العراقيين القدماء :

Barbara N.p. ,One god or Many ,New York,2000.pp.229,165,256,269.

[٢] فوزي رشيد ، حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥، ص١٤٩.

[٣] جاكبسون ، ثوركيلد واخرون ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة : جبر ابراهيم جبرا ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص١٥٨.

[٤] المشكور جنان عبد الرضا عبد الحسين ،الاله (ان/انو)في حضارة بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد،٢٠١٤ ، ص٥١.

[5] Hallow W.,& Van Dijk ,The Exalting of Inna ,New Haven,1968,pp. 35

[6] Speiser E.A., "Adope " ,Ancient Near East,,p.101-102

[٧] : كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم ، ترجمة فيصل الوائلي ، بيروت ، ١٩٧٣، ص ١٦٣.

[8] Barbara N.p.,Op.Cit , pp.220-221

[٩] المشكور، جنان، المصدر السابق، ص ١٥

[١٠] كريمر ، صموئيل نوح ، من الواح سومر ، تر: طه باقر ، بغداد ، ١٩٥٧ ، ص ١٦٠ ، سجى مؤيد عبد اللطيف،" الاصل الفلكي للنظام الستيني "، مجلة دراسات في الاثار والتاريخ،٣٥(٢٠١٣)، ص٢٨٢

[١١] عامر سليمان ،"جوانب من حضارة العراق القديم ،العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٥ ، ص٢١١-٢١٤.

[١٢] الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم، بغداد ، ١٩٨ص ، ٣٦٥-٣٦٦.

[١٣] لابات ، ١٩٨٨، ص٣٥٩-٣٦٠.

[١٤] فون زودن ، مدخل الى حضارات الشرق القديم ، ترجمة : د فاروق اسماعيل ، مراجعة ، احمد رحيم هبو ، تعز ، ١٩٩٩ ، ص١٨٨.

Black J. ,Green A. , Gods .Demons and symbols of ancient Mesopotamia, Britain, 1992 ,p. 30

[١٥] فاضل عبد الواحد علي ، عادات وتقاليد الشعوب ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١١٠

[16] Barbara N.p.,Op.Cit , pp. 338-339

[١٧] لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين مختارات من النصوص البابلية ، ترجمة البير بونا ووليد الجادر، بغداد، ١٩٨٠ ،ص ٣٤

[18]The Electronic Text Corpus of Sumerian Literature,C.1.2.2
http://etcsl.orinst.ox.ac.uk/cgi-bin/etcsl.cgi?text=c.1.2.2

[١٩] فوزي رشيد ، المصدر نفسه، ص١٥٠-١٥١ ; ينظر ايضا:

Black J., OpCit,p.30.

[٢٠] جاكبسون ، مصدر سابق، ص٢٠١

[٢١] المصدر نفسه ،١٥٠ص، كريمر ، صموئيل نوح ، مصدر سابق، ١٩٧٣، ص ٤٣٣.

[٢٢]ساكز، هاري، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، ط١، الموصل، ١٩٧٩، ص ٣٦٧-٣٦٨

[٢٣] جاكبسون ، المصدر السابق، ص ٢٠٢

[٢٤] سجى مؤيد عبد اللطيف، المصدر السابق ، ٢٨٢ص.

[٢٥] الراوي ، شيبان ثابت ، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،جامعة بغداد ٢٠٠١، ص ٤٣-٤٤

[٢٦] المصدر نفسه ، ص٣٨-٤٠

[٢٧] المشكور، المصدر السابق ، ص٦٣-٦٤.

[٢٨] بارو ، اندريه ، سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة عيسى سلمان و سليم طه التكريتي ، بغداد، ١٩٧٩، ص٢٤١

[٢٩] المشكور ، مصدر سابق ،١٦٥-١٧٢

[٣٠] علي محمد مهدي ، دور المعبد في المجتمع العراقي القديم من دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ،١٩٧٥، ص٧١

[٣١] سميت مجموعة اصوات بالذلقية نسبة الى صفة المخرج الذي ياتي من طرف اسلة اللسان والشفتين وهي احرف سته ، الراء واللام والنون والفاء والباء والميم .ينظر:

الصيغ ، عبد العزيز ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دمشق، ١٩٩٨.

[32]Labat M.,Materail for the Assyrain Dictionary,Chicago,1952,13

[٣٣] روي عن سيبويه أنه اسم مشتق، فكان في الأصل "إلاه" مثل "فعال"، فأدخل الألف واللام بدلاً من الهمزة ، مثل: الناس الذي أصله: أناس ، وقال غيره: أصله في الكلام "إله"، وهو مشتق من أله الرجل يأله إليه والوله المحبة الشديدة، واشتقاقه من الوله لان قلوب العباد توله نحوه، إذا فزع إليه من أمر نزل به، فآلهة؛ أي: أجاره وآمنه، ومن اله يأله اذا تحير ، لان العقول تتحير عند التفكير في عظمة الخالق ، ومن أله يأله اي تعبد لان التأله التعبد، ومن لاه يلوه اذا احتجب او ارتفع ثم إنه لما كان اسمًا لعظيم ليس كمثله شيء، أرادوا تفخيمه بالتعريف الذي هو الألف واللام، لأنهم أفردوه بهذا الاسم دون غيره، فقالوا: الإله، واستثقلوا الهمزة في كلمة يكثر استعمالهم إياها، وللهمزة في وسط الكلام ضغطة شديدة، فحذفوها فصار الاسم كما نزل به القرآن، وقال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام الأولى في الثانية، وعلى هذا، فالصحيح أنه مشتق من أله . اما الرأي الذي اعطي على انه اسم جامدو مرتجل، ليس بمشتق

ألبته، ، وقالوا: إن اسم "الله" غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادةً يُشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق. وفي الحقيقة ان الغالبية مع الاشتقاق ينظر :

احمد مختار عمر ، اسماء الله الحسنى ، دراسة في البنية والدلالة ، القاهرة ،١٩٩٧، ص٤٢.

[٣٤] ساكز، المصدر السابق ، ص ٣٩٤-٣٩٣

[35] Postgate J.N.Early Mesopotamia,London,1994,P.261

[36] Jacbson TH.,Toword Image of tammuz and other essays on Mesopotamia history and culture ,137-138

[٣٧]ساكز، المصدر السابق ، ص ٣٩٧

[٣٨] فوزي رشيد ، المصدر السابق ، ص١٥١

[٣٩] الشاكر فاتن موفق فاضل علي، رموز اهم الالهة في العراق القديم دراسة تاريخية، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل، ٢٠٠٢،شكل ٦٥

[40] Harris R, "Inanna-Ishtar as Paradox and a Coincidence of Opposites," History of Religions 30, no. 3 (Feb., 1991): 261-278.